

الحضارة AL-HADĀRAH

LASU Journal of Arabic & Islamic Studies

VOLUME 5, JUNE 2002



*A Journal of the Arabic & Islamic Studies
Unit, Lagos State University, Ojo*

ISSN 1118-0161

الشعر السياسي العربي في نيجيريا

بقلم

عبد اللطيف أونيريتي إبراهيم

المحاضر بكلية الدراسات العربية والشرعة الإسلامية،

إلورون، ولاية كوارا.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- مقدمة:

الشعر السياسي: هو ما قيل لغاية من غايات السياسة، يدعو به الشاعر للدولة أو حزب أو سلالة أو قبيلة أو شخص، أو هو يدعو لمبدأ متصل بالسياسة.^(١) الشعر السياسي غرض واحد من أغراض الشعر العربي يشمل عدة أغراض، قد يكون مدحاً مثلاً أو هجاء أو فخراً أو اعتذاراً أو تحريضاً وينظم أحياناً حكماً ومثالاً أو تورية، يخضع ذلك كله لتوجيه سياسي^(٢) لقد قرض علماء نيجيريا وأدباؤها، قديماً وحديثاً، الأوتار على هذا اللون من الشعر منذ عصر الجهاد إلى يومنا هذا، ولكن الدارسين لا يهتمون بأعمالهم هذه أبداً اهتمام، والذين درسوا بعضها خرطوها في سلك الأغراض التقليدية القديمة المستقلة. ولأجل هذا وذاك يحاول هذا البحث المتواضع أن ينظر في الشعر السياسي العربي في نيجيريا نشأته وتطوره وأغراضه ومميزاته وأسلوبه. ولتحقيق ذلك قسمنا البحث إلى أربعة أقسام: مقدمة، والشعر السياسي عند العرب، والشعر السياسي في نيجيريا، ثم الخاتمة.

٢- الشعر السياسي عند العرب:

كان الشعر السياسي قديماً عند العرب. وكان في العصر الجاهلي محصوراً في القبيلة أو الإمارة لأن الحياة البدوية حيثئذ قائمة على القبلية وتأثرت بها الإمارة. ولما جاء الرسول الكريم ﷺ بنور الإسلام الوهاج لمحض الشعر السياسي لما كان بين المسلمين والكفار من التباغض والتنافر والتفاضل وما لبث أن خمدت ناره في عهد الخلفاء الراشدين لتلاشي روح العصبية والحزبية،^(٣) ثم لمحض من جديد في العصر الأموي حيث ظهرت الأحزاب السياسية، مثل الشيعة والخوارج والزبيريين والأمويين إثر مقتل عثمان وتصيير الأمويين الخلافة الإسلامية منصباً وراثياً. الذي كان حدثاً في النظام السياسي الإسلامي. وهذا الذي حمل الشاعر عبد الله بن همام السلولي أن يقول شعراً سياسياً منه:

فلان تألوا برمله أو يئند ** نبايعها أميرة مؤمنين
إذا ما مات كسري قام كسري ** تعد ثلاثة متناستين
عشنا القبيظ حتى لو شربنا ** دماء بني أمية ما روينا
لقد ضاعت رعيتكم، وأنتم ** تصيلون الأراب غافلين^(٤)

وكان لكل حزب من هذه الأحزاب شعراؤه يدافعون عن مبادئه وعرضه وينشرون عقائده ويرثون شهدائهم ويمدحون أصحابهم. ثم تفرع الشعر الشعبي من الشعر السياسي في العصر العباسي لاشتداد المنافسة من رعايا الدولة التي تضمن الأجناس والشعوب المختلفة ولا سيما الفرس والعرب. وفي العصر الحديث لمحض الشعر السياسي لهوفاً لا مثيل له في الأدب العربي لاستيلاء المستعمرين على بلدان العرب والمسلمين وكثرة الأحزاب السياسية. فحيث كثر موضوعات الشعر السياسي وتجاوز أسلوبه

الأسلوب الواضح في إعلان الشاعر عاطفته وميوله إلى استعمال التورية يسلكه الشاعر في شعره السياسي سبيلا بدور دورانا بالموضوع فيعبر عن عاطفته وميله بمثل يضربه، ويكون المثل قصة مع بقاء الشعر غنائيا على غرار ما جاء به أحمد شوقي عندما يكره وزيرا تولى وزارة فهجاه هجاء غير مباشرة عن طريق حكاية علي لسان الحيوان في قصيدة نذكر منها ما يلي لضيق المقام:

الليث ملك الغفار ** وما تضم الصحاري
سعت إليه الرعاية ** يوما بكل انكسار
قالت: "تعيش وتسقي" يا دامي الأظفار
مات الوزير فمن ذا ** يسوس أمر الصواري
قال: "الحمار وزيري" قضي بهذا اختاري
فاستضحكت ثم قالت ** ما ذا رأي في الحمار؟^(٥)

٣- الشعر السياسي العربي في نيجيريا:

أ- أغراض الشعر السياسي:

١- شعر الجهاد السياسي:

نشأ الشعر السياسي العربي في عصر الجهاد الفودي وذلك حين أسس الشيخ عثمان بن فودي دولة إسلامية وكان الجو السياسي في أوائل دولته مملوء بالاضطرابات الشديدة وكثرت الحروب في أنحاء مملكته والممالك المجاورة لها فاضطر الشيخ عثمان ووزرائه إلى استخدام الشعر لتوعية الناس عن سياستهم الدينية وتحريضهم للقتال في سبيل الله وتحليل انتصاراتهم في الحروب وفترحاتهم فطفقوا ينظمون في هذا المجال شعرا سماه غلادنت "شعر الجهاد"^(٦) فمن أمثلة هذا اللون من الشعر قول عبد الله بن فودي في دالته:

وليس لنا كلام في حليط ** لهم ود كبد وذاك بادي
ولا تسأل عن أصحاب الحليم ** كصاحب ناقة أهل الفساد
تولي كبره بغضالدين ** فكان نذارهم وهم كعاد
وأنا في بلاد ليس فيها ** سوي حكم الاله علي العباد
أمير المؤمنين لنا أمر ** وصرنا كلنا أهل الجهاد
نجاهد في سبيل الله دوما ** فنقتل أهل كفر والعناد
سلوا عتقا مصاد منا بفتح ** ملتبكر كن أيام الجلال
سلوا شيطان غوير وهو ينف ** وهل لم ينف من بين البواد.^(٧)

فإيمان النظر في هذا شعر الجهاد وما فيها من الحماسة وذكر السياسة الدينية وذلك أنهم قاموا بالجهاد أولا لدفع عن أنفسهم ولقمح الفساد ومحاربة عبادة الأصنام وأعداء الله وما فيها أيضا من تهيج

القلوب وتسجيل الانتصارات نسلم الجدل أن شعر الجهاد شعر سياسي فهو النوع الأول من أنواع موضوعات الشعر السياسي في نيجيريا

٢- النقائص والمناقشات السياسية:

في جانب وصف المعارك الحربية المذكور أعلاه ظهر في العصر نفسه لون آخر من الشعر السياسي وهو النقائص والمناقشة الكلامية التراسلية بين القائمين بالدعوة ومعارضهم حيث أثار جهاد بن فودي بعض العلماء من الأحزاب الموالية للملك الموسا الذين قاموا بالدفاع عن أنفسهم وعن ملوكهم ويطعنون الشيخ وجماعته في سياستهم وأمثلة ذلك ما كتبه العالم المصطفى الماهر البرنوي إلى الشيخ عثمان يطلب منه منع حضور النساء لوعظه وفي ذلك يقول:

عليك منا تـبـحيات مباركة ** شـمـن مسكا وسكا من يلاقونا
أيا ابن فودي قم فأنذر أولى الجهلاء ** لعلهم يفهمون الدين والدنونا
فامنع زيارة نسوان لوعظك إذ ** خلط الرجال بنسوان كفى شينا
لا تفعلن ما يؤدي للمعائب إذ ** لم يأمر عيا كان يؤذينا (٨)
ولما تلقى الشيخ عثمان هذه الرسالة أمر أخاه عبد الله بالرد وجاء الرد على بحر القصيدة وروبوها كما يلي:

يأيها ذا الذي قد جاء يرشدنا ** سمعا لما قلت فاسمع أنت ما قلنا
نصحت جهلك لكن ليت تعذرنا ** وقلت سبحان هذا كان بهتانا
أن الشياطين أن جاءوا لجلسنا ** وهم يثون سوء القول طفنا
لسنا نخالط بالنسوان كيف وذا ** كنا نحذر لكن قلت سلنا
أن كان ذلك لكن لا أسلم أن ** يتركبن بالجهل عملا كان إحسانا
إذ ارتكاب أخف الضر قد حتما ** يكفر الجهل إن ذا كان عصيانا
هذي البلاد وجدنا قومها غرقوا ** في الجهل، تمنعهم أن يفقهوا الديننا
قد قيل تحدث للأقوام أفضية ** بقدر ما أحدثوا حذ ذلك ميزانا
يبين عبد الله بن فودي في هذه القطعة أنهم لا يخالطون النساء في مجالسهم وأنهم يسمحون لهم بحضور المجالس بقصد إزالة الجهل عنهم إذ عام الجهل والجهالة البلاد. واحتج بأن ارتكاب أخف ضررين مسموح به في الشريعة وأنه يجب معاملة الناس على قدر عقولهم فالشاعر الأول ينقض سياسة الجمع بين الرجال والنساء في مجالس الوعظ والثاني يثبت بالحجج والبرهان.

٣- الاعتذارات السياسية:

وعلي غرار ذلك ما كتبه أحمد بلو، نيابة عن الشيخ عثمان إلى الحاج الأمين حين أنعمه بنصرة

الأعداء، فيما يلي:

ألا من مبلغ عن الأميننا ** رسالة ناصح يدي اليقيننا

تعلم أننا رميناً به برءاء فأوف العذر فينا
 وإننا ما تغلبنا عليهم ** علوا أو فسادا قاصديننا
 ولكن حين أخرجنا اعتداءً وبغيا - صاح - قمنا دافعيننا
 تبين أمرنا هذا أحننا ** وفتشه ولا تعجل علينا
 فدع عنك الركون إلى الأعادي ** ونصر الظالمين الفاجريننا
 تعلم أنهم أهل اعتداءً ** ووال أخوا الصلاح المؤمنيننا
 وحالمهم وظاهرهم عليهم ** فإن الله يفرز الكافريننا
 ورد عليه الحاج الأمين بقوله:

ألا عم صباحا واحضر الذهن أنني ** حريص على من يقبل القول بالفهم
 فلننسى أرى نفسي على الحق والهدى ** وما زغت يوما عن طريق ذوى العلم
 وما كنت محتارا لما قد سمعت ** من الغزو والغارات والسفك للدم
 ولست بعات في قتالي ومعتد ** عليهم ولكن دافع الجور والظلم
 كإتقاد غرقى والحريق ومن ظلم ** وذا واجب لا خوف فيه من الإثم
 وفي الصلح خير إن رضيت جوابنا ** لننحو من التأويل والقول بالرحم. (٩)
 يعتز أحمد بلو في حراة جماعة الشيخ عثمان مما يعابون عليه من إفساد في الأرض بتغلبهم
 على الناس ويحتجون بأنهم قاموا بسياسة الجهاد للدفاع عن أنفسهم ثم نصح الأمين ألا ينصر الظالمين
 على المؤمنين. والأمين في دوره يعتز أيضا أنه قام بالغزو لا للاعتداء بل للدفاع عن الجور والظلم ويفسر
 أن إنقاذ الغرقى والمظلوم واجب.
 نحصل فيما مر على أن أسلوب الشعر السياسي الجهادي والنفاضي والاعتذارى خطابي
 تفريرى احتجاجي ثوري.

٤- المدح السياسي:

ظهر في هذا العصر (عصر الجهاد) أيضا لون آخر من الشعر السياسي ألا فهو المدح. في هذا
 يذكر الشاعر من خلال مدحه سياسة المملوك وانتصاراته على أعدائه ومعارضيه وحظ الناس على
 التعاون معه وذلك بحماسة حارة على غرار ما في قصيدة ميمية ذات واحد وعشرين بيتا لحمد بن محمد
 الثاني الإلوري، حفيد الشيخ أبو بكر بوي، مدح بها أمير الورن بن شعث عند انتصار جيشه الإسلامي
 على أحلاف جيش يوربا المجتمعين في مدينة أوقا عام ١٨٩٠ م ١٢٠٨ هـ في القصيدة بقول بعد
 الحمدلة والصلاة على النبي:

لما تحزب أهل الكفر كلهم ** وأهل بادن أباد الله باسمهم
 وأهل أوقا لقد فاعوا بنقضهم ** عهد الأمانة في فعل وفي كلم
 قال الأمر فإن الحول ليس لنا ** إلا إليك إلهي، أنت ذو كرم

وفوض الأمر للرحمن حينئذ ** وقد أنه فوج في حصونهم
قد أنجز الله وعدا كان واعدنا ** تفرقوا ثم حلّو حل ما لهم
نساءهم مع أولاد صغارهم ** صاروا أرقاء في ملك وفي عدم
بقدرة الله ربّ العرش خالقنا ** هو الذي يقتض ما شاء لا بكم
وزاده الله نصرا في بقيتهم ** حتى يصيروا إلى عزّي وفي نعم
*** **

يا قوم سمعوا وطوعا للأمر لنا ** كي تثبتوا في رضي الرحمن والزم
إن الأمر علينا وهو مقصدنا ** لأنه بيده ففتح مصرهم
فبايعوه على دين وطاعته ** فيما بنا صلحا للدين في هم (١٠)
قص لنا الشاعر، في أوائل القصيدة، بحماسة كيف انتصر أمير المسلمين، بإذن الله، على أحلاف
يوروبا الكفار في أوبا وفتحهم لبلداتهم، فطلب في أواخرها التعاون مع الأمير الذي كانت سياسته إصلاح
الدين الإسلامي وأمور المسلمين.

ومثال هذا اللون من الشعر في العصر الإنجليزي أوضح مما في العصر السابق له حيث لم يقتصر
المدح علي أوصاف مثالية قديمة، بل تعداها إلى ما يستحسنه المجتمع كالقيام بتعمير البلاد وإيجاد الأمن
وقمع الظلم وغير ذلك نأخذ نموذجاً لذلك من قصيدة يحي بن عبد القادر التي مدح بها الأمير الحسن بن
معاذ منها:

جدير بالخلافة مستحق ** بها أهل ومن مثل المهام
لقد علمت بذلك أهل هوس ** جميعا قبل أخذك بالزم
ستهر أرضنا وتفوق حسنا ** بإذن الله بالحسن الهام
وتحي وقته عمرا جديدا ** كما تحيا الرياض مع الغمام
ويؤمن أهلها وحشي افتراق ** ويذكر وقته وقت التمام
وتحمد في قلوب الناس نار الـ ** عداوة أججت زمن التمام
وتعمد السن تبغي فسادا ** فتخرس لا تطيق من الكلام
ويضرب فوق أيد الظلم ضربا ** تشد به فيذهب كالجها
سألت الله أن يبقيه دهرا ** طويلا في الإمامة بالسلام^(١١)

ففي هذا العصر (الانجليزي) أيضا غادر بعض الأدباء سنة تقليد القدماء في افتتاح القصائد
المدحية بالغزل، فتحولوا إلى افتتاحها بتصوير الحالة السياسية الزاهنة في عهدهم فمن أمثلة ذلك قصيدة
أحمد بن محمود الشهير بينما الإلوري التي مدح بها الأمير شعيب عند توليته منصب أمير السورن.
فالقصيدة تائية في ثمانية وأربعين بيتا نذكر منها ما يلي:

أعوذ بربّ العرش من شر دهرنا ** وشرّ السّنين يفعلون بقوة

٧

فذلك أمر من الله ربي ** لئن بقي الدين حقاً يقينا^(١٣)

فالقصيدة تلهب بحماسة منبثقة من عاطفة صادقة بما فيها من التحريض وإثارة العاطفة والتنهيج والفتور والتعصب للدين الإسلامي مما يجعلها جديرة أن نذكرها تحت موضوع التحريض السياسي إلا أننا نرى أن قوامها مدح وتشجيع للغدافي على سياسته الثورية الإسلامية التي تضمنها البيت الأول من القصيدة.

ومن ساروا علي هذا الدرب من الأدباء حسن الزاروق الإلوري الذي مدح دولة إيران والرحوم آية الله خميني في قصيدة نظمها لمناسبة احتفال بنجاح الثورة الإسلامية في إيران المتعقد في الغوس بتاريخ ١٩٨٧/٢/٧ م. وعدد القصيدة واحد وعشرون بيتاً نذكر منها ما يلي:

الله أكبر في سماء إيرانا ** رغم الأعداء صاحبوا الشيطان
نور الشريعة والحقيقة طالع ** في العصر بعد ظهر لمعانا
وكذا يتابع للمعارف فائضة ** عمت قلوب المؤمنين أمانا
بما معشر الأخوان في إيرانا ** صرتم لأمة قائدا شجعانا
وأقمتهم ضد الجبايرة ثورة ** ويل لهم لمقامهم خسرانا
وتقهقرت أمريكا عن جبهتنا ** لما رأيت قوة كذا الدبرانا
بأيت قومي إن قوة كلها ** وبسلامة في المصحف فرقانا
وجزأك يا شيخ الشيوخ إلهي ** خير الجزاء أنت الإمام خانا
سر السلامة في اتباع خميني ** هو آية المولى يقود شيانا
نحو الحرية والسلامة فسينا ** بيد السلامة في اتخاذ السنانا^(١٤)

٥- الوصف السياسي:

فالوصف السياسي عبارة عن تصوير حوادث سياسية أو تحليل وقائع سياسية مثل الاستقلال من أنياب الاستعمار والانقلاب الحكومي أو وصف حالة سياسية ما، وغير ذلك. ففي العصر الانجليزي قرض القاضي عمر إبراهيم قصيدة عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية يصف فيها ما وصلت إليه الحال من التفكك والفساد ويشكو من ظلمها ومن الاضطرابات الكثيرة والاختلافات السياسية الشديدة وخاصة بين الشرق والغرب. فهناك وصفه للحرب العالمية الثانية في القصيدة:

الحرب تلو إثر ما ذهبت ** فندمر الأمصار بالجرم
بالبطائرة والبنادق أو ** دبابه وبمدفع تحرى
وببواخر وبما تغوص إلى ** عميق البحار مثيره الشر^(١٥)

وصف الشاعر ما حدث في الحرب من استعمال أنواع آلات التدمير مثل القنابل والطائرات الحربية والبنادق والدبابات وغير ذلك لتدمير البلدان والأقطار. وهذا الدكتور داود أحمد أدبكيكـ

التحان يصف الحالة السياسية والاقتصادية والاجتماعية في عهد الحكومة العسكرية التي يرأسها الجنرال إبراهيم بابنغدا، نقطف منها ما يلي:

فأرضنا الخصبة المعسولة ** قد صيرتها جديبة جرداء
إذا قفلت مدارس الأطفال ** وصيرت أسواقنا صحراء
وموتت مراكز التجارة ** وغلقت موارد الثراء
وقفلت كذلك المصانع ** وصيرت كل أهلها فقراء
أما السبوك فهي في ازدياد ** مثل مراب ليس فيه ماء
مستشفيات فطرنا تراها ** بلا طبيب وبلا دواء
ومعاهد العلم كحاميات ** ردت جميعها إلى الوراء^(١٦)

تتمتع هذه القصيدة بالتشبيهات بأنواعها مثل تشبيه الأسواق الحالية من البائع والمشتري بالصحراء الفاحلة تشبيهاً بليغاً، والاستعارات التي تلمح من نبض الروح في المراكز التجارية والمصانع، والكنايات الظاهرة في علق موارد الثراء الذي يعني جعل البلاد فقيرة، وغير ذلك. فهذه التصويرات البلاغية الرائعة وغيرها استطاع الشاعر أن يصف الأحوال السياسية وسياسية الحكومة الراثة في ذلك الزمن.

٦- الشكوى السياسي:

فكما يلحق بالوصف السياسي شكوى أبناء البلاد من سوء أحوالهم أو أحوال بلادهم تحت حكومة أو دولة ما. وقد لاحظنا أن لهذا النوع من الشعر السياسي في نيجيريا لونين في الأسلوب. فاللون الأول ما ينظمه الشاعر حكماً أو أمثالا عن طريق القصة الحوارية يصف فيها الشاعر أحوال قومه أو بلاده السياسية عن طريق غير مباشرة، على غرار ما ذكرنا أعلاه عن أحمد شوقي. وخير مثال لذلك ما يشكو به الوزير جنيد عن أحوال البلاد بعد تولية المستعمرين عليها خصوصاً سوكونو التي كانت مقر الدولة الإسلامية الفودية ومركز العلوم الإسلامية حينذاك. يردها التمس لقضاء مأربهم السياسية وغيرها. ثم تغيرت حالتها إلى أسوأ فقي ذلك يقول:

صارت مراتع للوحوش بعيد أن ** كانت مقاصد حاضراً أبداً
أقوت فلست ترى لها أحد سوى الـ ** سحراء لائذة على الأعواد
قامت تخاطبني فعز كلامها ** فلكم سكوت معلنا لمراد
وتدبر عينها تشير بذاك دو ** ر الدهر غير ما ترى في النادي
وتلوننت فسفهمت منه تلون الـ ** أحوال في الدنيا فخر رقادى
لم لا أنادى في الطلول وهذه ** الأطياف فوق غصون شواذى
ألوانها ما بين ناصع ** أو أحمر أو مشرب بسواد
تشدوا وترقص في حلى أرباشها ** زقن القيان بحلة الأعياد

أسفى على ظلل بـمازحني متى ** نناديت خالقي على المعتاد
 نـاديتـه بأيـهـذا النـادي ** فأحـابـني بأيـها ذا النـادي
 لـما سـكـت دنت إلي حمـاة ** مغـرة تـبـدو كلون رمـادي
 فـسألـتـها أيـن الـذين عـهـدـتـم ** قـالت لـقـد بـلـغـوا عـلى المـيعـاد
 قـلت أـحـرنـسي مـن تـخـلف بـعـدهـم ** قـالت تـخـلف دـولـة الأـكـرـاد^(١٧)

استخدم الشاعر الحوار الذي خلق به حركة درامية رائعة في هذه القصيدة لتصوير ما أحالت إليها، البلاد بدخول المستعمرين إليها فجعل البلاد أطلالا والحرباء دلالة على التغير، وتلوها تعني تغير الزمان، ودوران عينها يشير إلى دور الدهر، والطيور التي رآها فوق الأغصان بالألوان المذكورة، ورقصة كل منها دلالة على الفرح ولعلّه يقصد بذلك المستعمرين وأعوانهم من أبناء البلاد، ولعلّه يقصد بالخمائم الحريّة ذات لون الرماد بالوطن، وتغير أحواله، ويقصد بالأكراد والأوغاد المستعمرين المفسدين.

وأما أسلوب اللون الثاني من الشكاوي السياسية فهو تصوير الحالات السياسية السيئة التي كانت عليها البلاد وأهلها عن طريق مباشرة ولعل أروع نموذج لهذا اللون من الشعر قصيدة عيسى الأبي أبو بكر " شاعر المعجم بعنوان "المعذبون في الأرض" نقتطف منها ما يأتي:

طلبت قولي فقلت: واعجي ** كيف يطيب الكلام وأعجي؟
 خطوب هذا الزمان سكنت الصو ** ت فماذا يقال بالفضـب؟
 قد عرقوا عظمنا بشؤمهم ** وعودونا الرضاء بالسغب
 أيـن كـريـم تـرجـي كـرامـتـه ** ويـدـرأ النـازـلات بالـرتـب
 هل مـات فـينا شـعـورنا وـغـدا المـ ** حـا كـم لا يـستـعـان في الكـرب
 سـيـاسة لا تـزـيـدنـا أـمـلا ** إلا هـنـوم القـلوب والـسـريب
 سـيـاسة تـجـعـل الأـعـزـة فـيـ ** سـنا يا رـجـالـي أـرـاذل الشـعب
 سـيـاسة لا نـسـريـدهـا أبـدا ** ومـن يـريـد البـقـاء في الشـجـب

ثم قال بعد بضعة أبيات:

بـلـادنا نـفاقة مـباركة ** لـما فـصـال لذـيـزة الحـلب
 لـكنـها تـسـدـرـها فـتـة ** دـون سـواها بـقـوة الغـلب
 ونـحـن حـلّ بـها نـعـيش أخـي ** عـيش غـريـق مـشـرد وـصـب
 كـحـوت بـحـر رـمـاه في الـبـيس الـ ** حـظ فـأضـحـي بـعـيش في نـصـب
 كـطـائـر ضـلّ وـكـره فـغـدا ** عـديـم أم وصـاحـب وأب

إلى أن قال:

هـذا زـمان السـكـوت في نـظر الـ ** بـعض فـإن الكـلام كـالـجـب
 فـإن مـكـنـنا تـكـون عـلتـنا ** داء عـضـالا يـجـيـئ بالنـوب.^(١٨)

في هذه القطعة، صور الشاعر، بحماسة حرة، أحوال بلاده السياسية والاقتصادية تصويراً دقيقاً حيث تستعمل الأقلية قوة الغلب لظلم الناس ولهب أموالهم حتى طار الأمل منهم وصاحبهم اليأس، مستعينا في ذلك بساطة الألفاظ وسلاسة المعنى، وبالصور البلاغية الرائعة والموسيقى الجرسية المطربة. ففي آخر القصيدة يرينا أن الشكاية سلاح الضعفاء.

وللشاعر قصيدة أخرى في هذا اللون بعنوان: "خفف الوطء يا معالي الوزير". لم يسمح لنا ضيق المقام عرضها هنا.

٧- التحريض السياسي:

ومن الشعراء من استخدم شعره لتوعية قومه عن حريتهم، وأمور سياستهم فثير به عواطفهم، ويهيج قلوبهم وينهض بهم إلى القيام لطلب حقوقهم من الحكومة الظالمة، وأن يكرهوا لسياسة الفاسدة، أو لطلب استقلالهم من المستعمرين. ظهر هذا اللون من الشعر السياسي في القرآن العشرين بلى في الخمسينيات منه^(١١) وتتطور في عصر الاستقلال. فيتضح في مثل هذا الشعر روح الحماسة. مثال ذلك قول عبد الرزاق شيث، أبو السكينة، الذي قال بعدما وصف، بالأسلوب الخطابي، كيف ندد الحكام والسياسيون شمل البلاد (تيجيريا)، وكيف يستعملون ثرواتها لمصلحتهم الخاصة على حساب سعادة جماهير أهل البلاد، فيعد ذلك وجه الخطاب إلى الشباب الذين هم قوام المجتمع يستنهضهم لمحاربة الأوضاع المتأسفة بحماسة شديدة وروث أسلوب ويقول:

أما آن أن تستغيب القلوب ** لقمع الطغاة وردع الكلاب؟

أما حان أن تستجيب الشباب ** لوقف التخاذل، خلع السلاب؟

أخي كم بقيت رهينا جريحا ** الام متبقى أسيرا تصاب؟

أخسي لن تعيش إذا لم تثر ** ولم تعلن الحرب ضد الذئاب

ثم شرع يبين طريق القيام بالثورة، وكيفية تحقيقها قائلا:

شباب بلادي هيا نـنـشـر ** ونغمم البلاد لنترك استلاب

فلاحظ، وخطط وراقب وباغت ** وقاوم عداك، وكن كالغراب

شباب بلادي عليك بعدل ** وعزم وحزم وخلق الكتاب

فمـش في الحياة كريما مهينا ** ومت مـوتـة العز يا صاح شباب

شباب بلادي لنيل الأمان ** فأنت السعد وأنت الحراب

فأنت شهيد إذا مت فيما ** يقيم العدالة دوما تناب

فمر قد بدالي على الأفق نور ** يذل قريبا جميع الصعاب

ألا فلأنتوني، ولو كنت ميتا ** بنحجي، إذا راح سم الغضاب^(١٢)

ظهر في هذه القصيدة حماسة الروح الوطني أكثر من حماسة الروح الديني، وهناك قصيدة

أخرى، كانت حماسها بعكس، هذه القصيدة ليهودا أحمد بعنوان "الراعي والرعية" ومطلعها:

محتاجه السياسي إلى الحكومة العسكرية الراهنة حينذاك في قصيدة عدد أبياتها، اثنان وتسعون بيتاً. نذكر منها ما يلي:

ما هذه الحكومة الصماء ** حكومة تحكم بالأهواء
يا عجباً لهذه الحكومة ** حكومة يكرهها الجمعاء
يا قوم ما لهذه الحكومة ** تقودنا فكأنها عمياء
حكومة ليست تميز بين البيا ** ضاء والسوداء والفسياء
حكومة تحكم في البلاد ** كما تشاء لا كما نشاء
حكومة تحرد لا بالجمال ** لا بالهدايا بل ولا بالماء
لا مرحباً بهذه الحكومة ** حكومة تجود بالبأساء^(٢٣)
عدد الشاعر - بأسلوب بسيط - مثالب الحكومة العسكرية التي يرأسها جنرال بانغدا ونصحها في آخر القصيدة بالتوبة والرجوع إلى الله. ثم بالدعاء.

٩- النصائح السياسية:

هناك بعض الشعر السياسي يهدف إلى توجيه خطط رؤساء الحكومة أهل الحل والعقد وإنذارهم بعذاب الله إذا اقتصرُوا في حمل مسؤولياتهم تجاه سعادة البلاد وتبشيرهم بالجزاء إذا وافوا بالعهود. أو إرشاد الجماهير عند اختيار الرؤساء وطاعتهم. نكتفي بقصيدة سنوسي عبد الله يعقوب التي قالها في حركة التحول من الحكومة العسكرية إلى الحكومة المدنية في نيجيريا عام ١٩٨٩م. قسم معاني القصيدة إلى أجزاء مختلفة فمنها ما كان إرشاداً للمنتخبين ومن ذلك يقول:

لا تتمحلوا تأييد جميعاً ** حتى إذا اتضح اللاد لشعبنا

وفي جزء آخر ينصح أهل السياسة قائلاً:

فإذا اشركتم في الإدارة أكرم ** كالرائق المأمون في تقويمنا
أهل السياسة هكذا مسعاكم ** فلنحذروا العقي وعوا إلتذارنا
نأبي السياسة أو يتم صلاحنا ** أو يوشكن الله نصر حنا
وليحذر المدني روم غير ورننا ** أو نأبين الانتخاب جميعنا
فرسالي مهدوفها يدعوا إلى ** أكياسنا أن يزجروا إخواننا
بنصيحة فعالة أن يمهلوا ** حتى يتم الوعد من زعمائنا
فالحر بنجز وعده مما وعد ** أكرم بهذا لروقي بعهودنا^(٢٤).

١٠- الرثاء السياسي:

فمن الشعراء من ينتهز فرصة وفاة زعيم سياسي في البلاد لغرس روح التضال السياسي في نفوس شعبه أو قبيلته فيرثي المتوفى معبداً، بجانب أخلاقه النبيلة، إسهاماته السياسية، ثم يستهض قومه للبالاة، ومطالبهم لحقوقهم وغير مثال لذلك مرثية عبد الرحمن عبد العزيز الزكوي للزعيم مشهود

١١

تقلب دهر دائما ذو عجائب ** فقد زلزلت أثار شوري ودكت
فبعد المقدمة التي أظهر فيها التحسر على إزالة الدولة الإسلامية في نيجيريا، شرع بميز بين
الحكومة الصالحة والفسادة، ثم وصف أحوال رجال الحكومة والسياسة الشنيعة، وأحجم بهذا التيهيج
للقلوب لشعب الإسلام لاستعادة مجد الإسلام.

فأنتم أيها شعب كرام تنبهوا ** وقومو بقدم الصدق في نصر بيضة
ولا بد من علم به تشرفوا ** ولا تقتعوا حقا بأضعف حجة
مسالك سلف لو غفلتم سليمة ** بما لن تضلوا عن صفاء هداة
*** **

وجودوا بنفنس علنا ندرك المني ** بطلعة فجر الحق كاشف ظلمة
نقوم فيها اعوجاجا بجمة ** ونحمر ذا ضعف بكل مسألة
حياة بعزم والسمات بعكس ** وحنة عدن بالمكاره عصمت^(١١)

٨- المهجاء السياسي:

هو أن يهجو حزب سياسي سياسة أعداده أو أفراد حزب آخر أو أن يعدد الشاعر مثالب
سياسة بلاده أو حكومتها ومعاييها، فهذا اللون من الشعر كان أكثره في عصر الاستقلال، لم نعر على
النوع الأول منه إلا في العصر الفلان حين كانت اللغة العربية اللغة الرسمية وقد ذكرنا ما يشبه ذلك في
التفاضل السياسية، أما النوع الثاني فأكثره في العصر الراهن ونكتفي بما قاله عيسى ألبكر
وداؤد أحمد أدبكيكين. يقول عيسى ألبكر في الإطاحة بالحكومة المدنية الثانية الفاشلة في نيجيريا:

إن السياسة خيرها شر ** الكذب والتجميل والضرر
مافذا يروحك من محاسنها ** لا تحذ عتق حلوها مر
إن أرى الإنسان يدخلها ** قد حفر بالثوقر يعثر
وأراه يخرج من أماتها ** قد ناله التفرع والمهر
ربح عقيم لا رجاء لها ** يضيق من ويلاتها الصدر
الحزب أثقل عندهم وزنا ** والناس في مفهومهم صفر
كم أو قدوا نار الخلاف لها ** حر وليس بناله جمر
كم عتق ابن في سياسته ** ألحمقا أباه وماله عذر
وكذلك والده يهدده ** للحزب بالهجران ينفجر
إننا براغم في سياستنا ** وأواننا ما آن والدور^(١٢)

بينما تمحو هذه القصيدة السياسة التي تفرق بين الوالد والولد والسياسيين الذين يؤثرون
أحزابهم على المصلحة العامة ويوقدون نار الفتن في سبيل تحقيق أهدافهم الأنانية، توجه داؤد أدبكيكين

١٣

أبثولا المتوفى أثناء مطالبته حقه لرئاسة نيجيريا عقب انتخاب فاز فيه وألغته الحكومة العسكرية برئاسة
بابنغدا عام ١٩٩٣م وتوفي عام ١٩٩٨م في حالة مشايخة ويقول في القصيدة بعد ما مدحه بسخاء وكرم

لقد مات أيمنكي أو الحسان ** شهيد وقد ذا من أمان
فقد نابه خير اللسان ** ليوربا طرا والجمان
بديل له أني وثان ** غبتا بأنواع المهران
أرنا حيارى كالقبيان ** أأبناء قومي والرهان
علام سكتنا كالجبان ** لقد آن للحق التفاني
دعوا الخلف أو هذا جفاني؟ ** وذاليس فينا قد عصاني
وقولا: فلان من فلان ** ألا فانبذوا شر الطفان
وفي موته شق المعاني ** يعي من به صفو الجنان^(٢٥)

اتضح في القصيدة أن الشاعر زعم أن مشهود أبثولا مات قتيلًا ولذلك يستهص قبيلته بوربدان
بضحووا بنفوسهم لأخذ حق لم في حكومة نيجيريا، وطلب منهم لذلك أن يتحلوا وينبذوا وراءهم
... الخلاب والظلم في عرض أنفسهم لكي يحققوا الغرض المنشود.

للشاعر قصيدة أخرى في نفس الموضوع رثى بها زوجة أبثولا المسماة بقدرة التي أغتيلت يوم
الثلاثاء ١٩٩٦/٦/٤م قبل وفاة زوجها للغرض السياسي نفسه ومطلع القصيدة:

بأي ذنب قتلت ** قدرة ماذا فعلت
تغالبها نازلة ** لوما عقلنا ثقلت^(٢٦)

كما عثرنا على قصيدة أخرى للشاعر عبد الواحد جمعة أربى في الغرض نفسه بعنوان: "وداعا
يا أبا الشعب!" ومطلعها: ديارى ما الذي جر البلاء؟ ** وأوهى في مفاسلك الإخاء^(٢٧)

١١- الفخر السياسي:

هو أن يفتخر الشاعر بمجزيه ويهجو حزبا آخر أو يكون المفاخرة بين أديان على أمور سياسية.
نختار قصيدة عبد السلام صالح عبد السلام بعنوان "أتكسونا رداء المفسدين؟" نموذجًا لهذا اللون من
الشعر. كانت القصيدة إجابة للمسيحيين الذين ينسبون الفساد إلى الإسلام والمسلمين لأجل بعض
الحكام المسلمين الذين أساءوا تدبير نظام البلاد النيجيرية وسياساتها غافلين أو متغافلين أمور الذين
أحسنوا تدبير أمورهم. ففي القصيدة يقول الشاعر:

لنا الإسلام والخلق الحميل ** ولو بطغى ويشتما الجهول
ولأقوال والأفعال منا ** إذا ما كنت تسألنا أصول
لنا القرآن معجزة الأنعام ** كما اعترفت له كرها عقول

وقال بعد بضعة أبيات:

أتكسونا رداء المفسدين ** لقرم قلوبهم عنا عدول

أننسي أن حكم الأغلبية ** على أحد له ظل يزول
لأنك إن قطعت بذلك أمرا ** ستدم عند ما احتلف المثل
عرفنا الحق من جنرال أبشاش ** كما أغراه في الدنيا الصقيل
وإفساد جنت بده علينا ** ولكن ربنا نعم الوكيل
أخيرا بعدما ملكك بده ** عداه إلى الردى أجل عجيل
ولا يخفي على أحد أمور ** حرت من قبله ولنا العقول
وذلك عهد ضحكك ظلم ** "بينغد" إنه فينا لغيل
ولا يصف اللسان بكل كيد ** أعد لأخذنا وبه نسيل
فحمدا أوقف الرحمن سهلا ** سقينة كبد فثنى الأفول
على هذين تحكم أنت قطعا ** بأننا المفسلون ولا نميل
أماندري بأن لكل خلق ** طبيعته كما شهد العقيل
ألا والله إنا مصلحون ** سيدريك الحقيقة ما أقول
فجنرال مرتضى من قبل هذيه ** من كان له من الذكر الحميل
"نفا ويلو" إن له حبيبا ** وذلك يا أعني رجل جليل
ألبا مسلمين - كما عرفنا - ** حقيقيين بل فهم المثل
ولا ينهض هذا البلاد ** ولو بطغي وبشتمنا الجهور^(٢٨)

فالقصة حاسة احتجاجية اختر الشاعر في أولها بالإسلام والقرآن والرسول الذي هو
المثل الأعلى في الفضائل ثم احتج بأن التحكيم بالأقلية على الأغلبية غير ثابت، واعتزف أن "أبشاش"
"ربانغد" رئيسان مسلمان أساسا تدبير نظام حكم نيجيريا وهذا لا يجعل مسلمي نيجيريا بأجمعهم
مفسدين مع أن هناك "أوبكر تافا ويلو"، أول رئيس تنفيذي لنيجيريا، وجنرال مرتضى محمد وغيرهما
لم أبام بيضاء في سياسة نيجيريا.

٤ - الخاتمة :

سبق في هذا البحث القصير نقاش الشعر السياسي العربي في نيجيريا نشأته، أغراضه، مميزاته،
وأسلوبه . ورأينا أنه نشأ في العصر القلاقي حيث كانت اللغة العربية لغة رسمية، وتطور عبر العصور.
ووجدنا أنه شمل من الأغراض: شعر الجهاد، النقائص، المدح، الوصف، الشكوى، التحريض، المصالح،
النصائح، الرثاء والفخر.

يمتاز بحماسة حارة وابتعاد عن تقليد الأقدمين، وتصيغ بصيغة دينية، واتخذ من الألفاظ السهلة،
ومن المعاني السلاسة، وصور بلاغة رائعة. وكان أغلب أسلوبه خطايا تقريريا احتجاجيا ثوريا. لقد
استطاع العلماء والأدباء به توعية الأمة وتنقيفهم في أمور السياسة وغرس في قلوبهم الغيرة الإسلامية.
فإنه مجال يطلب مزيد البحث والدراسة.

١٥

الهوامش

- ١- رثيف خوري: للتعريف في الأدب العربي، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان. ١٩٦٢م ص ١٥٣
- ٢- المرجع نفسه ص ١٥٣
- ٣- حنا الفخوري: تاريخ الأدب العربي، الطبعة الثامنة، المكتبة البولية، بيروت، لبنان (غير مؤرخ) ص ٢٦٧
- ٤- رثيف خوري: المرجع السابق ص ١٥٣
- ٥- المرجع نفسه ص ١٧٥ - ١٧٦
- ٦- شيخو أحمد سعيد غلادنتي: حركة اللغة العربية وأدبها في نيجيريا، الطبعة الثانية المكتبة الإفريقية، الريا ص ١٤١١هـ - ١٩٩٣م ص ٦١١
- ٧- المرجع نفسه ص ٦١٢.
- ٨- أم عبد الله الالوري: الإسلام في نيجيريا والشيخ عثمان بن فود، الطبعة الثانية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧١م ص ١٠٦ وفي غلادنتي ص ١٢٢
- ٩- محمد بللو عثمان بن فودي: المرجع السابق ص ١٨٤ و ١٨٧
- ١٠- أم عبد الله الالوري: لمحات البلوري في مشاهير علماء اللورن من ١٢٠٠ إلى ١٤٠٠ للموفق ١٨٠٠ إلى ١٩٨٠ م، المطبعة للنمو نجية ، للقاهرة ١٩٨٢م. ص ٢٦ - ٢٧
- ١١- شيخو أحمد سعيد غلادنتي: المرجع السابق ص
- ١٢- أم عبد الله الالوري: لمحات البلوري السابق ص ٤٦
- ١٣- عبد الوهاب زبير الغعاوي : مخطوطة شعرية نظمها عام ١٩٨٦ م
- ١٤- حسن عبد الله الزاروق : مخطوطة شعرية نظمها بتاريخ ١٩٨٧/٢/٧ م
- ١٥- شيخو أحمد سعيد غلادنتي: المرجع السابق ص ١٦٤
- ١٦- داود أحمد لادي كيلينك التجاني الدكتور : إمام جامع جامعة إبان حاليا :مخطوطة نظمها بتاريخ ١١ محرم ١٤١٤ هـ الموافق ليناو ١٩٩٣ م.
- ١٧- شيخو أحمد سعيد غلادنتي: المرجع السابق ١٥٨ - ١٥٩
- ١٨- عيسى الابي أبوبكر: " الرياض" ديوان مخطوط يطلب لدى الناس قسم الأديان جامعة للورن
- ١٩- شيخو أحمد سعيد غلادنتي : المرجع السابق ص ١٦١
- ٢٠- عبد الرافع شنت: مخطوطة نسختها عند الكاتب لهذه المقالة.
- ٢١- يهوذا أحمد: مخطوطة نظمها بتاريخ ١٩٨٩/٦/٢١م. توجد نسختها لدى كاتب هذه السطور
- ٢٢- عيسى الابي أبوبكر: " ويلات السياسة" مخطوطة غير مؤرخ المرجع السابق
- ٢٣- داود أحمد لاديكيلينك: المرجع السابق.
- ٢٤- سنومسي عبد الله يعقوب: مخطوطة نظمها بتاريخ ١٩٨٩/٥/٢م توجد لدى كاتب المقالة.
- ٢٥- عبد الرحمن عبد العزيز الزكوي: مخطوطة نظمها بتاريخ ١٩٩٨/٧/٧م تطلب عند كاتب هذه السطور.
- ٢٦- المرجع نفسه نظمها بتاريخ ١٩٩٦/١/١٢م
- ٢٧- عبد الواحد جمعة أربي: مخطوطة نظمها يوم الاثنين الموافق ١٩٩٨/٧/١٣م تطلب بمركز التعليم العربي الإسلامي، باغيفي ليغوس.
- ٢٨- عبد السلام صالح عبد السلام: مخطوطة نظمها عام ٢٠٠٠ م يوجد لدى كاتب هذه السطور.

١٥

